

من موقف "المحضر والحرف"

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD17813.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوي

mokattampsy2002@hotmail.com - rakhawy@rakhawy.org

نشرة "الإنسان والتطور" 2013/08/17

السنة السادسة - العدد: 2178



قال مولانا النفرى فى موقف "المحضر والحرف"

وقال لى:

أخرج من العلم تخرج من الجهل
وأخرج من العمل تخرج من المحاسبة
وأخرج من الإخلاص تخرج من الشرك
وأخرج من الاتحاد إلى الواحد
وأخرج من الوحدة تخرج من الوحشة
وأخرج من الذكر تخرج من الغفلة
وأخرج من الشكر تخرج من الكفر.

فقلت لمولانا:

ما هذا يا مولانا؟! واحدة واحدة ربنا ينيير بصائرنا حتى نتحمل!!

هذا هو التحدى بعينه

لكن ما دمت قلته فقد قاله لك

وما دام قد قاله فعلينا أن نتحمل مسؤوليته وأن نغوص فى أعماقه، ألم توصل لنا من خلال ما قاله لك فى نهاية هذه الجزئية من هذا الموقف إلى أن ثم سبيلا إلى أن نخرج من "الغفلة" وأن نخرج من "الكفر"، فماذا هناك أروع من هذا؟ وأكمل من هذا؟ وهل يطلب أى كادح إليه إلا هذا؟!

كل الفقرات - إلا واحدة - كانت تقول: أخرج من "..." تخرج من "..."

ولم يقل لك تخرج إلى من إلا فى الفقرة الرابعة

ها... هذه هى بداية الحل...!! ربما

أنا مستعد أن أخرج من كل شيء وكل خاطر وكل وسيلة وكل آخر، ما دام الخروج هو إلى "الواحد"، وأيضا ما دامت نهاية كل هذه الخروجات هى الخروج من "الغفلة" ومن "الكفر".

هيا نقرأ رحلات الخروج من "الأخر للأول" ما دمنا اتفقنا على أن روعة الغاية الماثلة لم تظهر إلا فى النهاية، باعتبارها "غاية كل الخروج"، بعد أن وصلنى أنه لا خروج إلا إليه.

نرجع فى الاتجاه العكسى واحدة واحدة لعلنا نفاك اللغز

ولماذا نسميه لغزا؟، فما دمت قد استلهمته مما قاله لك، فهو ليس لغزا.

ليكن:

- لكي أخرج من الكفر على أن أخرج من الشكر، فكيف ذلك؟

لا بد أن "الشكر" غير الحمد، الحمد لله رب العالمين، هذه الآية وكل الفاتحة، هي هذه الآية بكل الفاتحة، إذن ماذا؟ الحمد لله، والشكر أيضا لله، لكن لعل ما بلغني هنا هو أن ثم شكرا آخرًا قد يلهيني عن حمد الله، ربما يكون ذلك الشكر على نعمة لم أتحمّل مسؤوليتها، أو الشكر الموجه لغيره بعد أن نسيت أنه ليس إلا عبد لله مثلي، فهو وسيلة لما أفاضه عليّ من خلاله، أو لعله الشكر الذي يتجه لمن تفضل عليّ بتقدير شكلي بعيدا عن رحابه، وبمقاييس ليست من حسابيه، كل هذا شكر محدود أو في غير محله، والخروج منه هو خروج من الكفر، ربما الأمر كذلك.

- نرجع خطوة أخرى (تذكر: صعودا من الآخر للأول):

طبعًا أريد أن أخرج من "الغفلة"، ما أخبت وأغبي عتمة الوعي حين نتصور أنها الطريق إلى الاقتراب منه ونحن في ذهول الوجد، الذكر المكرر الشكلي المعاد قد يصل بي إلى هذا النوع من تعقيم الوعي الظاهر، وكأنني في رحلة إلى وعي باطن وما هو كذلك، بل هو وعي خادع، وبالتالي يكون الخروج منه خروج من الغفلة، الذكر اليقظ المبدع يتجدد مع كل صوت ومع كل لفظ مهما كان هو نفس الصوت ونفس اللفظ، لا غفلة فيه ولا تعيب، ليكن الخروج من هذا النوع الذاهل إلى ذلك النوع التنوعي من الذكر اليقظ الذي يجدد اللفظ لا يكرره، فهو خروج من "الغفلة"، فأهلا به وحمداً.

- أرجع - أصد - خطوة أخرى لأواجه الخروج من الوحدة، فأذكر وأتذكر أنه لا "وحدة" بالمعنى الذي يعانيه الإنسان المعاصر، وأحيانا يفخر به، إلا إذا نسي أو أنسى أنه معه ظاهرا وباطنا، داخلا وخارجا، دقيقا وممتدا، إذ من أين تأتي الوحدة وهو معي بي كلي كل ميكروثانية، الله!! أكتشف الآن أن كل من يشكو من الوحدة - بوجه حق أو بغير وجه حق - لا بد أنه نسي هذه الحقيقة الأولية البسيطة، دوام الائتناس به ينفى أية وحدة قبل ظهورها، هذا مع التذكرة بأن هذا الائتناس به لا يعنى الاستغناء عن الائتناس بخلقه، العكس هو الصحيح، فالائتناس بخلقه هو طريق إليه، شريطة ألا يخذعنا حتى نحسب أننا لا نحتاج إليه، نتراجع الوحدة حتى تتمحي حين يكون هو ثالث اثنين ورابع ثلاثة وخامس أربعة إلى ما لا يسع كرسيه إلا السموات والأرض، فمن أين تأتي الوحدة!! الخروج من الوحدة هو الخروج إليه فهو أكيد الوجود ودائم الحضور، فهو خروج من الوحشة، سواء كانت وحشة بسبب الانفراد بالذات أو وحشة نتيجة نسيان الواصل الأعظم بيننا وبين بعضنا طول الوقت.

- وصلتنى الخطوة التالية صعودا إلى أول الوقفة اسهل وأوضح:

"فالاتحاد" التصاق قد يتجمد على ما هو عليه، أما "الواحد" الأحد فهو جماع الكل في واحد بحركية دائمة دائبة مبدعة متغيرة كادحة إليه، التقطت أنفاسي أخيرا وأنا أخرج من الاتحاد إلى الصمد لم يكن له كفوا أحد.

حين وصلنى هذا المعنى أسلس، وأهدأ، لم أعد أفزع من تكرار الأمر بالخروج.

- أما أن خروجي من الإخلاص يخرجني من الشرك، فقد كنت أحسب أنه لا إخلاص إلا

لوجهه، وأن في هذا الاخلاص خلاصى، لكن يبدو أن ثم إخلاصا آخر قد يخدعنى حين أتوهم أنني أخلص إليه في حين أنني لا أخلص إلا للوسيلة إليه، أو إلى اسم يحل محله، أو إلى حرف يدق في وصفه، كل هذا قد يكون مدخلا لهذا الشرك الأخرى من ديبب النملة، فهو الشرك لو أنني لم أتفت إلى احتمال حضوره طول الوقت في كل وسيلة وكل اسم وكل حرف طول الوقت، وعلى اذن أن أخرج من أى إخلاص لأى من ذلك حتى لا يحول بينى وبين الإخلاص المطلق، فهو الوحيد، وهو لا إله إلا هو، وليكن خروجاً خالصاً من كل شرك حتى لو كان أخفى من ديبب النملة.

• لا أريد أن "أخرج" من العمل، ولا أعرف ما هي العلاقة بينه وبين المحاسبة، إلا تذكرت كيف أنه من أغرب وأخبث ما طرأ على العمل مؤخراً (أو من قديم، لا أدري) هو أنه أصبح هدفاً في ذاته له حصة مستقلة عن ما وقر في القلب ليصدقّه، إن هذا أو ذلك لا بد أن ينحرف بالعمل عن غايته، من هنا - كما وصلنى الآن - يكون خروجي من مثل "هذا" العمل هو خروج من هذا الانفصال عن الأصل بالمحاسبة التي تخايلنى أحياناً لتبدو أنها هي فقط منبع العمل ومصبه، فيبدو أن على أن أنتبه ألا يكون العمل الذي أكرر كثيراً كم أقدسه هو حصة بعيدة عنه، وإلا فهو للمحاسبة وليس لوجهه، فوجب الخروج منه ومن المحاسبة لأجد نفسى لا أعمل إلا لوجهه.

• وأخيراً نعود إلى الخروج من العلم، وكم علمتنا يا مولانا من خلال ما أوصاك به، كيف أن العلم الذي ضده الجهل هو الخدعة الكبرى، بل والشرك أحياناً، وكيف أن الحرف الجاف في ذاته لذاته هو الوثن الأخبث، هنا نعود بنا إلى هداية مكملة نصالح بها العلم الحقيقي الذي يخرجنا إلى الجهل، فهو يخرجنا إلى ما يكمله ولا يتم إلا به، إلى الجهل المعرفى الذي هو ليس ضده (ليس ضد العلم الحقيقي).

.....

أنا ألهت يا مولانا فأعذرني.

*** **

في ذكرى تأسيسه : 10

شبكة العلوم النفسية العربية... نشره

10 : شخصيات من ابرز العلماء النفسانيين العرب

بلقـبـه:

"الواسخون في العلوم النفسية"

www.arabpsynet.com/Rassikhoun/RassikhounCongrat.pdf

الطبيب النفسي :

يعيى الرخاوي - احمد عكاشة - محمد أحمد النابلسي - صادق السامرائي - عدنان التكريتي

علم النفس:

محمد الستار ابراهيم - مصطفى مجازي - علي زيمور - فديري حقني - أحمد عبد الخالق